° فن تشكيلي °

في
معرض الفنان
دوشان
سيمونوفيتش :

بَيروت جورنيكا ٨٢

بتاريخ ١٩٨٣/١/٢٩،
افتتح معرض الفنان
اليوغسلافي دوشان
سيمونوفيتش، بصالة الشعب بدمشق، ضم المعرض ٤٢ لوحة، توزعت بين الطبيعة الصامتة، المناظر الطبيعية، مظاهر الحياة اليومية في الريف والمدينة، المشكلات الانسانية المعاصرة، محلية ودولية، والقليل من البورتريهات... كما احتلت احداث بيروت الأخيرة، ووقائع المجزرة التي ارتكبها الصهاينة في مخيمي صبرا وشاتيلا حيزاً هاماً من اعمال المعرض..

° الشعر واللون !

في المناظر الطبيعية التي يرسمها دوشان بمهارة يمكن ملاحظة تماسك الاشياء وتداخلها وتراصها، وشكلها الهندسي غير المفرط بتقنيته الحادة المعروفة، انه ينظر من زاوية ما الى الحالة التي يود تعميمها، تلك التي تقترب من النفس، اكثر من كونها زاوية تقود الى رؤيا عامة لمنظر طبيعي بألوان مبهجة يحدث أثراً تلقائياً، انه يدخل الى المنازل الهادئة، ويبعث فيها ضجيجاً مألوفاً لا مرئياً، ويمر على الآثار، ويثير فيها حياة جديدة مليئة بالتفاصيل التي يقدمها لنا ايحاءً خالصاً ينقله المناخ العام، اي انه يعمم الحالات الناقصة عمداً، تاركاً للمشاهد فرصة الحوار والتأمل والاكتشاف، وهو بهذا المعنى يذكر بأن « الفن هو رد فعل عام » كما يقول بونار.

وبذلك يعمد دوشان الى تشكيل هذه الموضوعات باضواء ساطعة، والوان حادة، تكون الاشياء فيها مرتبة بانتظام واقعي، واتساق يقترب من الفوتوغراف، ويبتعد عن التجريد. ففي لوحته « نوافذ منزل جدتي » ثمة منزل بنافذتين بيضاوين مغلقتين، امام المنزل شجرة بنية مائلة الى الاخضر، نلمس في التكوين الحس الشعري المرهف لاستخدام اللون، كما نشعر بالشيخوخة المبكرة التي تحياها الشجرة العارية بالتوازي مع النافذتين المغلقتين، وغياب الجدة التام، كذلك لوحته « منزل اصفر » المرسومة بغنائية فائقة، والمتعددة

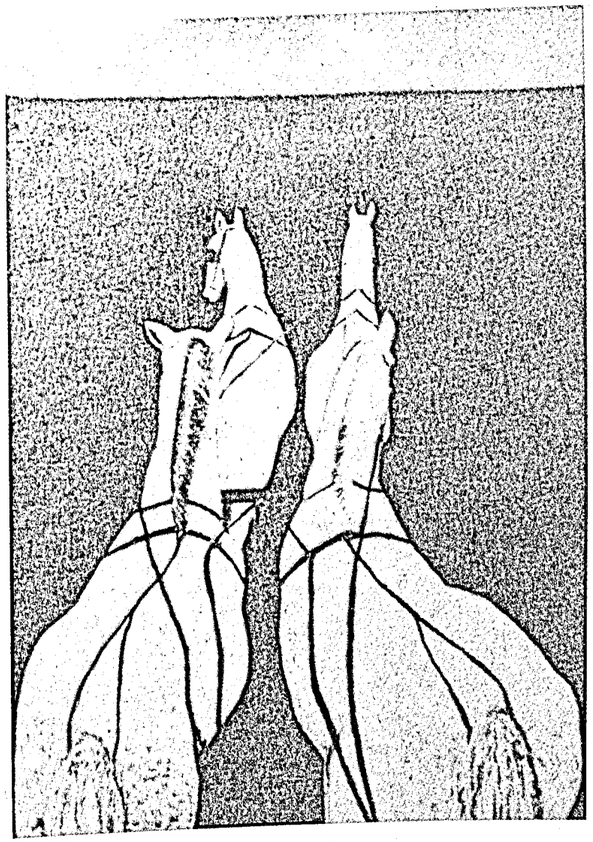

خيول

خلدة ٨٢

عن الهندسة الصارمة، حيث نرى ابواباً خشبية بنية قاتمة احياناً، ومائلة الى الأصفر احياناً اخرى، اما قاعدة اللوحة فهي جدار عتيق مضاء بتدرجات لونية تنسجم مع التاريخ، كل شيء في هذه اللوحة مغلق تماماً، ومهجور تماماً، وليس سوى الذاكرة اليقظة على الدوام.

و من الممكن أن تدخل اعمال مثل « اشجار الزيتون الذهبية » و « الفضية » و « الباب الأخضر القديم » و « من دمشق القديمة » و « الشارع » والمناظر الطبيعية المأخوذة عن معلولا، ضمن هذا السياق، مع مراعاة هامة للتفاصيل الجزئية، تلك التي تبعث تواصلاً انسانياً بين الموجودات، برؤية شعرية والوان حادة او هادئة، مع ان المناظر تلامس احياناً بالرمادي لكنها مبهجة ومثيرة للذاكرة.

° جورنيكا وصبرا

في لوحة الصحراء يسعى دوشان الى الرمز البسيط المظلل، فيشكل الخيام القليلة بخطوط وضربات هادئة رمزاً للخيام، اضافة للاستخدام اللوني الذي يعطي بعداً شاملاً للصحراء العميقة اللامتناهية. لكن الرمز البسيط هذا لا يؤدي غرضه التقني كما يجب.

افرد الفنان دوشان عدة اعمال للغزو الصهيوني الوحشي على لبنان، والمجازر التي ارتكبها في مخيمي صبرا وشاتيلا ويبدو انه اخجر هذه الاعمال بدأب وحرص كبيرين، متأملا عمق التجربة، وشعولها وآثارها، ففي « الارز المحترق » دخان كثيف، اعمدة متهاوية، ووجوه ضبابية مشوهة، كما يحاول دوشان استحضار المجزرة الوحشية التي قامت بها الطائرات النازية حين قصفت قرية جورنيكا الاسبانية المسالمة، القرية التي خلدها بيكاسو بلوحة عظيمة بنفس الاسم، هنا يشتق دوشان من الحادثة واللوحة معاً، ويعيد الجانب البشع للعملية النازية في لوحته « عشاق بيروت » حيث الخراب الشامل، وعاشقان يرتقيان الى الاعلى، الى سماء ملوثة بالدخان، وفي الأسفل الى اليسار وجهها بيكاسويا يطلق صرخة احتجاج خرساء.

بيروت ٨٢

عشاق بيروت

ويركز دوشان على هذا الموضوع، عبر تشكيلات تدين الارهاب، وتدعم المحتوى الانساني في اعمال مثل « خلدة، بيروت ٨٢، الارزة السوداء ». وقد تميزت بين هذه المجموعة لوحته المسماة « صبرا وشاتيلا » بدقة معالجتها. وتكويناتها المتقنة. فنلحظ خيولا تبدو وكأنها عائمة في البحر، غارقة تفتش عن مأوى في الماء، وفي البعيد تغرق آثار بعلبك، كل شيء يغرق في الازرق المتجانس مع الافق والسماء، من الخيول الخائفة الى المدينة المفقودة.

° الواقع والتجريد

ان الفنان دوشان على قلة تجربته الفنية – اذ ابتدأ الرسم عام ١٩٧٥، وانصرف الى فنه اكثر في العامين الاخيرين – إلا انه يبدو من خلال معرضه هذا قد كرس جهداً مضاعفاً لتطوير قدراته الفنية والفكرية، فقدم لنا اعمالا ممتعة ومحرضة، تشير الى موهبته الحقيقية في هذا المجال.

وفي سياق هذه التجربة تجدر الأشارة الى ان هناك معالجات يغلب عليها طابع التبسيط، اعني بذلك نقل حيثيات الواقع باشكالها والوانها، كالفوتوغراف تماماً، تلك المعالجات التي تذكر بواقعية مسطحة، بينما كان من الممكن اعتماد وسائل تقنية اعمق تساهم برفد المحتوى الفكري بغنىً أكبر، اذ يلاحظ غياب التجريد مثلاً اعني هنا، التجريد باعتباره شكلا من اشكال التعبير عن الواقع، لكن ليس التجريد الذي يذهب الى تحطيم الظواهر الخارجية، ومن ثم يلغي امكانية عرض الفكرة الواقعية او المفهوم الاجتماعي او الايديولوجي، انما هو التجريد الذي يمكن الاستعانة به لتوصيل فكرة اللوحة وهدفها الابعد، ذلك ان التطور التكنولوجي قد عكس كل انجازاته على الانماط الفنية مجتمعة، وفي ذلك مبرر واقعي للاعتماد على التكنيك الاكثر حداثة على الدوام، في الوقت الذي سعى دوشان الى استخدام ابسط اشكال الفن تعبيرية،

استثني لوحة صبرا وشاتيلا

ولا ادعي هنا، ان التبسيط ظاهرة سيئة كاملة، لقد بسّط بيكاسو شكل الثور، بسّطه الى درجة شديدة، ولكنها في كل مرة تبدو اعمق واجمل، واكثر ايصالاً للافكار، ان تبسيطاً كهذا يحمل في ذاته قوة اقناع، بينما نراه في بعض معالجات دوشان يظل قصوراً واضحاً، خاصة عندما يريد التعبير عن حالات بارزة وشديدة التعقيد في الوقت الراهن.

عبد الله صخي